العرب
الأربعاء 2019/08/14
السنة 42 العدد 11436

تآكل القضية الفلسطينية: طعنات خارجية أم صراعات داخلية

الإجماع الفلسطيني على رفض خطط واشنطن للسلام غير مرفوق بوحدة الصف

تمر القضية الفلسطينية، منذ أكثر من عقد بأحلك الفترات التي فقدت فيها زخمها، لا فقط بسب التناحر على السلطة منذ عام 2006 بين الفرقاء الفلسطينيين، وتحديدا بين حركتيْ فتح وحماس ما أدى إلى تقسيم شعب ناضل وكافح وقاوم طيلة عقود على قاعدة التجمع والوحدة من أجل الوصول إلى هدف واحد، بل إن مختلف المعطيات الخارجية، تجمّعت بدورها وتراكمت لتزيد في إرباك قضية الفلسطينيين وتضيّع أي إمكانية للسلام مع الإسرائيليين تحت شعار حلّ الدولتين. منذ صعود الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى سدّة الحكم، باتت سياسات الإدارة الأميركية المعلنة بصريح العبارة وبوضوح المواقف والقرارات منحازة بشكل تام لفائدة الجانب الإسرائيلي على حساب الفلسطينيين، حيث فرض ترامب سياسة الأمر الواقع باعترافه أولا بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقل سفارة بلاده إليها، وهندسته لما يعرف بـ"صفقة القرن"، وحثّه على الاستمرار في الضم والاستيطان.

تكمن المفارقة في كل هذا الوضع المأزوم، أن كل الفصائل والأحزاب الفلسطينية، تُجمع نظريا وبلا استثناء على رفض كل قرارات ترامب وخططه وخاصة صفقة القرن، لكن كل هذه الحماسة تغيب وتنتهي صلوحيتها وتتلاشى عند كل محاولة للجلوس إلى طاولة المفاوضات لحلحلة الأزمة الداخلية الفلسطينية التي قسّمت الشعب وأذابت لُحمته.

حتى وإن أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس عن رفضه ونقده لإدارة ترامب في جلّ القرارات التي تتخذها، فان واشنطن مازالت لديها قناعة راسخة بأن عباس ليس مزعجا وهو زعيم الفلسطينيين في الوقت الراهن ما يطرح مجدّدا عدة أسئلة باتت مزمنة حول الأسباب التي أدّت إلى تعثّر القضية الفلسطينية وغياب بريقها المؤثر في المحافل الدولية، فهل مرد ذلك تواتر الطعنات الخارجية أم تقصير القادة الفلسطينيين.

التفاوض الداخلي الفلسطيني ضرورة

ترتيب الوضع الداخلي أولوية قصوى

مروان كنفاني
المستشار السياسي
للراحل ياسر عرفات

منذ ظهور ما يعرف اليوم بالقضية الفلسطينية قبل قرن من الزمن تقريباً، لم يمر على الشعب الفلسطيني، رغم الاحتلالات والجرائم والاستيطان والمجازر والتهجير، زمن أسوأ وأخطر وأكثر يأسا وأقل إنجازا من العقد الأخير من عمر شعبنا.

عندما سلّمنا الأتراك العثمانيين للاحتلال البريطاني في العقد الأول للقرن العشرين، وبدأ سلب أرضنا وزرع المستوطنات صمد الشعب وكتب سجلاً مشرفاً في كتاب التاريخ. كنا يومها شعباً ونضالاً واحداً وهدفا واحدا.

وعندما سلّمنا الإنكليز للمؤامرات الصهيونية والأميركية سقينا أرض بلادنا بدم غال. كنا يومها أيضاً شعباً واحداً ونضالاً واحداً وهدفا واحدا.

كذلك خلال سنوات النزوح والنضال التي أخذتنا لعهد منظمة التحرير ممثلاً وحيدا للشعب الفلسطيني. ثم أرغم نضالنا حكومات العالم كافة للاعتراف بنا وانطلقنا في ثورات وانتفاضات الشعب على الأرض الفلسطينية. كنّا لا نزال شعبا واحدا ونضالا واحدا وهدفا واحدا. وبالرغم من كل الأخطاء والخطايا أجبرنا العالم على احترامنا والاعتراف بحقوقنا والتغرم بتضحياتنا.

اليوم لسنا وطناً واحداً، ولا شعبا واحدا، ولا نضالا واحدا، ولا هدفا واحدا. ولا أحد يحسب لنا حساباً، نحن اليوم أعداء بعضنا، وحلفاء أعدائنا، وكلنا والغ في دم شعبنا وكرامته وحريته. فهل ينفعنا رضاء أميركا أو تسهيلات إسرائيل أو أموال المتعاطفين؟

ينظر الشعب الفلسطيني اليوم حوله لشعوب عربية تثبّت نظمها السياسية ومبادئ احترام الوطن والمواطن وضمان تداول السلطة. أشهر معدودات من لقاءات تم الاتفاق بعدها أو على طريق الاتفاق على ترسيخ خطوات الانتقال من حال إلى حال. نحن نحرث منذ ثلاثة عشر عاماً للتوصل إلى صيغة طريق تعيد الوحدة لشعبنا ووطنا. ما الذي يملكه القادة والسياسيون في تونس والسودان والجزائر ولا يملكه قاداتنا؟

نجحت القيادات والأحزاب السياسية والنقابات والقوات المسلحة في تلك البلدان العربية باتباع الخطوات الأهم لإعادة الحكم إلى الشعب، وليس للمصالحة والتقاسم. وهي الاتفاق على برنامج مشترك، ثم اختيار شخصية مستقلة لاستلام الحكم لمدة قصيرة يتم خلالها الترتيب لانتخابات تشريعية ورئاسية، ومن ثم تشكيل حكومة وفق نتائج الانتخابات تحكم البلاد.

أليس ذلك ما فعله الفلسطينيون بعد استشهاد الرئيس ياسر عرفات؟ التفسير الوحيد لفشل قياداتنا الحالية واضح ولا يحتاج إلى عناء، وهو أن تلك القيادات الحالية لا تريد أن تتنازل عن سلطة اكتسبوها بالسلاح أو الإرث.

يخسر القادة الفلسطينيون بطرفيهم الرابطين على حكم شعبنا نصف قوتهم وحججهم ومنطقهم في أي مفاوضات عندما يفاوضون باسم جزء من الشعب وقطعة من أرضهم ولا يمثل أحدهم كل فلسطين أو كافة شعبها.

> **متى اتحد الفلسطينيون سيصبحون لاعبا أساسيّاً في مشكلة فلسطين والأوضاع في الشرق الأوسط**

يخسر القادة الفلسطينيون بطرفيهم أيضاً في جنوب ما تبقى لنا من وطن وشماله، باقي ما تبقى له من قوة وحجج، من حيث أن مفاوضيهم يدركون أن تلك القيادات الفلسطينية قد انتزعت الحكم انتزاعاً، والشعب الفلسطيني لم ينتخب أو يختار أيّاً منهم، اللهم إلا توافقهم جميعاً على منصب الرئيس الفلسطيني.

تسعد إسرائيل بالتفاوض مع وفدين فلسطينيين، أحدهما بشكل مباشر، والثاني من وراء حجاب. يمثلان شعبا واحدا منقسما، ووفق أجندات وملفات مختلفة لكل منهما. مغلّفة بتكرار مطالب شعارية، مثل الانتهاكات للمسجد الأقصى والقدس والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وإقامة المستوطنات.

تتطرق المفاوضات الحقيقية التي يمارسها الطرف الفلسطيني بشقيه الجنوبي والشمالي مع إسرائيل إلى ملفات أخرى متنوعة أكثر أهمية، مثل إدخال البترول والكهرباء، وإعادة الأموال التي تصادرها إسرائيل، وحسم ديون الكهرباء الإسرائيلية للضفة الغربية، وإدخال أموال التبرعات، وفتح المعابر وتوسيع مساحة الصيد البحري، ووقف هجمات البالونات الحارقة.

هل يناقش الطرفان الفلسطينيان مع الجانب الإسرائيلي شروط إعادة اللحمة للشعب والأرض الفلسطينية؟ أو استكمال قرارات اتفاق السلام الذي وقّعته إسرائيل مع السلطة الوطنية الفلسطينية؟ أو كيفية الإعداد لانتخابات فلسطينية تشريعية ورئاسية؟ أو تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تدين الانتهاكات الإسرائيلية؟

ليس بالطبع لأن الاتفاق على إثارة هذه الملفات قرار فلسطيني داخلي ولا علاقة لإسرائيل به ولا يبدو أن الفلسطينيين بقيادتيهما مهتمين بإثارة هذا الموضوع، بل وليس هناك قناعة فلسطينية أو إقليمية أو دولية بأن للفلسطينيين خطة سياسية أو مبادرة للتفاوض عن الموضوعات الأساس. لماذا يستمر السباق الثنائي الفلسطيني للتهدئة أو للتفاوض مع إسرائيل؟

الحقيقة المؤلمة هي ليست عجز الفصائل الفلسطينية عن التوصل لاتفاق، بل هي تصميم الفصائل الفلسطينية على عدم التوصل إلى اتفاق.

إذا أو متى اتحد الفلسطينيون سيصبحون لاعبا أساسيّاً في مشكلة فلسطين والأوضاع في الشرق الأوسط، بدلاً من الجلوس المهين في مدرجات المتفرجين، سوف نصبح أقوى. أقوى في الصدام أو في التفاوض.

وإذا أو متى توافق الفلسطينيون على سيادة القانون، سيزدادون قوة. وإذا اختار الشعب الفلسطيني قيادته بانتخابات نزيهة سيطمئن لحياته وعيشه وأهدافه وسوف يحترمه العالم بأسره.

عندما تعمل الفصائل والأحزاب لمصلحة الشعب وليس لمصلحتها الشخصية سوف يدعمها المواطنون. الفصائل والأحزاب التي تبحث عن حلفاء في الجوار أو البعد للاستقواء على بعضها البعض لا تستطيع حماية الشعب، وغير قادرة على تحقيق أهدافه، لا بالتفاوض ولا بالسلاح.

أخاديع واشنطن وحال الفلسطينيين

عدلي صادق
كاتب وسياسي فلسطيني

لم يتردّد غيبسون غرينبلات، المبعوث الأميركي الخاص للمفاوضات الدولية، في الإعراب عن تقبّل واشنطن لاستمرار حكم رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، الذي يراه زعيما للفلسطينيين، الذي لا تزال واشنطن، تأمل منه "القدوم إلى طاولة المفاوضات و"لا تسعى إلى استبداله"!

جاء ذلك في حديث أدلى به غرينبلات، إلى شبكة "بلومبيرغ" الإخبارية الأميركية فجر الثلاثاء. وقد اتسم مجمل حديث هذا المستشار الأميركي المتحدر من أسرة يهودية مجرية متطرّفة، هاجرت إلى نيويورك؛ بالخديعة والإدعاء، إذ ليست هناك مفاوضات لكي يلتحق بها الرئيس عباس. وغرينبلات نفسه يقول إن رئيسه دونالد ترامب، لم يقرّر بعد أن كان سيعلن عن الشقّ السياسي "قبل أو بعد الانتخابات الإسرائيليّة" أو بعد تشكيل الحكومة الإسرائيلية المقبلة، أي إن فكرة التفاوض التي يأمل المتحدث من عباس الدخول فيها، لا يُعرف موضوعها أصلا، كما ليس من حق هذا المستشار الأميركي، أن يلجأ إلى أن الولايات المتحدة، تمتلك صلاحية استبدال عباس، لكي تأنس إدارة ترامب في نفسها الأهلية لتطمينه بأنها لا تريد إزاحته.

كان واضحا عنصر الركاكة السياسية في تصريح غرينبلات. والغريب في ما أدلى به المبعوث الأميركي إلى المفاوضات الدولية أينما كانت وحول أي قضية تدور، أنه حاول التذاكي قائلاً "إن هذا الصراع (ويقصد النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، حسب التعبير المتداول في السنوات الأخيرة، لوضع الفلسطينيين وحدهم، دون العرب، أمام إسرائيل) سيُحلّ فقط عبر مفاوضات مباشرة بين الأطراف" وأن "ليس للولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي أو الأمم المتحدة الطلب كيف سيحل هذا الصراع".

هنا، يتجاهل غرينبلات أن واشنطن، التي "قررت" الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ونقلت سفارتها إليها، واعترفت بضم هضبة الجولان السورية المحتلة، وحثت على الاستمرار في الضمّ والاستيطان، قد تدخلت سلفا بقرارات أحادية من جانب واحد، أي إنها أعطت نفسها حقاً لا تملكه، في أن تحدد كيفية حل "هذا الصراع". بل إن أحد مراسلي قنوات التلفزيون الإسرائيلية في واشنطن، نقل عن مصادر أميركية، بأن هناك "مفاوضات داخلية" في البيت الأبيض، يتعلق بآليات وشكل وتوقيت عرض الشق السياسي للخطة الأميركية المسماة "صفقة القرن" أي أن الأميركيين يجهزون الصيغة الأخيرة لإملاءاتهم.

لقد بدا واضحاً، من خلال تصريح الناطق باسم الولايات المتحدة بخصوص موضوع الشرق الأوسط، أن الإدارة الأميركية الراهنة، التي اتخذت خطوات عملية في سياق تحديد كيفية حل النزاع؛ لا تزال مصممة على إبعاد الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي عن دائرة التأثير في مجري أي محاولة للتوصل إلى تسوية. وما الإشارة إلى نفسها، كونها من ضمن الأطراف التي "لا تملك الطلب كيف سيُحل هذا الصراع" هو محض كلام بلا معنى، يراد به التضليل.

> **الإدارة الأميركية لا تزال مصممة على إبعاد الأمم المتحدة والإتحاد الأوروبي عن دائرة التأثير في مجرى أي محاولة للتوصل إلى تسوية**

لكن المفارقة في حديث غرينبلات، تكمن في رسوخ قناعة الجانب الأميركي بـ"زعامة" عباس، على الرغم من موقفه الهجائي المعلن من السياسة الأميركية. ففي هذا الرسوخ ترتسم المفارقة وليست الغرابة، إذ لدى الأميركيين من الحقائق على المستوى العملي، ما يجعل عباس مناسباً وليس مزعجاً مهما أفاض في ذم الأميركيين. فالرجل، من خلال سلطته الأمنية، لا يدخر جهدا في العمل على منع أي ردود أفعال عنفية فلسطينية في الضفة، ضد الممارسات العنفية الإسرائيلية، التي يباشرها الجيش والمستوطنون على مدار الساعة وارتفعت وتيرتها في الأيام الأخيرة، داخل مستطيل المسجد الأقصى، حيث باتت المواجهة ضارية بين الفلسطينيين والمستوطنين الذين يساندهم الجيش.

عباس وحماس، في هذه الظروف الفلسطينية يتشددان في موضوع المصالحة الفلسطينية، ويحرص كل طرف على وضع الطرف الآخر، في الموقف الذي يدفعه إلى تلبية شروط بقاء سلطته، وهي كلها شروط منزوعة الدسم السياسي، على أن يكون لها الهامش الذي يلائمها في الحديث عن عدو تقاومه أو لا تقاومه.

وعباس من جهته، فعل كل ما يستطيع، لكي تستمر حركة فتح في هزالها، ولكي تزداد الهوة بينها وبين شعبها، وبالتالي فإنه سيظل في نظر الأميركيين "زعيما" للفلسطينيين، لا ينبغي استبداله أو المساس بدوره، وهذا أمر طبيعي بالنسبة للسياسة الأميركية. ولعل ما يزيد تمسك واشنطن بعباس، أن تكتيكات أدائه، من شأنها أن تمنح الأميركيين أوقاتاً مستقطعة، تساعدها على تدبير صيغة الصفقة برويّة، متذرعة بالظروف غير الملائمة، لذا فإن رئيس السلطة الفلسطينية، لم يجد غضاضة ولا حرجاً، في الإعلان عن "وقف العمل بالاتفاقيات الموقعة مع إسرائيل" وكان ذلك في صيغة مذيلة بقرار تشكيل لجنة لبحث الآليات وكيفية تنفيذ ما يقرره، أي أن الرجل يقرّر كيف أن يعرف كيفية التنفيذ، ويزعم أنه سيعرف من خلال لجنة يرأسها هو نفسه، دون أن يحدد لها سقفاً زمنياً أو يقسّم تنفيذ التوجه إلى الهدف، عبر مراحل. وقد كان شأنه في ذلك، كشأن اتفاقات أوسلو التي قلبت الأولويات، فجعلت التنفيذ بالجملة لاتفاق إعلان مبادئ، وأبقت الحل نفسه غامضاً ومحكوماً منذ بدايته، بمنطق التقسيط، لتنتهي الأمور إلى ما انتهت اليه، فيجاهر اليمين الإسرائيلي الديني المتطرف، بانقلابه التام على العملية السلمية!

هنا، تؤخذ تصريحات المبعوث الأميركي إلى المفاوضات الدولية، باعتبارها نوعا من الثرثرة الفارغة التي بلا معنى. فليس لدى واشنطن حتى الآن، أي موضوع يجدر التفاوض حوله، وليس لدى عباس القدرة على القفز في الهواء، ولا القفز إلى موقع تفاوضي مقنع، ما خلا قفزات الكلام التي لا تنطلي على أحد من الفلسطينيين، ولم يعد للإدارة الأميركية الحد الأدنى من الجدارة في رعاية مفاوضات تسوية، وفي سياق هذا كله، يظل عباس "زعيما" طالما أن حال الفلسطينيين على ما هو عليه.

لا ثقة في إدارة أميركية منحازة لإسرائيل